الآفات الاجتماعية في المجتمع الغرناطي الحشيشة أَنموذجًا

(761 – 763هـ/ 1359 – 1361م)

رائد محمد حامد حسن الطائي*

تأريخ التقديم: 2013/1/3 تأريخ القبول: 2013/2/20

المستخلص:

يهدف هذا البحث الى تسليط الضوء على آفة انتشرت في المجتمع الغرناطي والتي من المفترض أن تكون خفية ويلفها الصمت والخفاء، ولكن على النقيض من ذلك فأن هذه الآفة الدخيلة على العادات والآداب الاسلامية كانت علنية ويتعاطاها العامة والخاصة، الا وهي آفة تعاطي الحشيشة في أوساط المجتمع الغرناطي.

والملفت للنظر في ذلك العهد هو تغني الشعراء بهذه الآفة الهدامة وتفضيلها على الكحول متناسين أن الترويج لتلك الآفة خطر يهدد كيان الأمة الاسلامية ويفت في عضد أي مجتمع.

الكلمات المفتاحية : الافات الاجتماعية ، العادات الاسلامية ، المخدرات ، المجتمع الغرناطي .

المقدمة:

لقد نخرت في جسد المجتمع الغرناطي العديد من الآفات التي كانت بعيدة كل البعد عن الدين الاسلامي الحنيف، وكانت بمثابة معاول هادمة للمجتمع الذي كان يقلد النصارى في المحرمات، حيث كانت هنالك حرية اجتماعية واسعة فمجالس الشرب والغناء والرقص كانت تعقد على ضفاف الانهار وفي البساتين وفي بيوت الناس من

* أستاذ مساعد/ قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل .

غير رادع من الرقيب [1]، حتى أن سهولة الحصول على الخمور وتناولها في المدن الاندلسية قد أدى الى تزايد مخاطر حرية العادات [2]، وقد اشير الى أن والي اشراف غرناطة كان شغوف بالنساء والخمر [3]، وأن نفقات الدولة استهدفت قبل كل شيء خدمة الفئات النافذة التي مالت الى البذخ عن طريق القصور والرياش [4] ومجالس اللهو والخمر والموسيقى والغناء واقتناء الجواري والغلمان [5]. وكانت صحبة المخنثين والنساء الساقطات وقضاء الليالي في الحانات أمور بداهة [6]، وقد كان هنالك استهتار بالدين وانحلال في الاخلاق وجرأة على الاعراض [7]، أدى الى الاصابة بمرض التكالب على اللذة والانغماس فيها وما ينتج عن ذلك من انحلال في الاخلاق وخور في العزيمة [8]، وقد مارس الغرناطيون العاب الميسر سراً لأن الدين يحظره وكان هم المحتسب مراقبة النوادي التي يقصدها المقامرون وملاحقة مروجي

---

(1) توفيق، عمر ابراهيم، صورة المجتمع الاندلسي في القرن الخامس للهجرة، "" سياسياً وثقافياً"، (ط1، دار غيداء، عمان: 2010)، ص 143.

(2) بروفنسال، ليفي، تاريخ اسبانيا من الفتح الى سقوط القرطبية، (711ه/ 1031م)، ترجمة: علي عبدالرؤوف البمبي وآخرون، مراجعة: صلاح فضل، (ط1، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة: 2002)، مج 2/ 380.

(3) شيخة، جمعة، الفتن والحروب واثرها في الشعر الاندلسي (ما سقوط الخلافة ق 5ه/ 11م الى سقوط غرناطة ق 9ه/ 15م)، (ط1، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والاشهار تونس: 1994)، 1/ 175.

(4) الرياش: اللباس الفاخر والاثاث والحالة الجميلة، انظر: مسعود، جبران، الرائد معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقاً لحروفها الأولى، (ط1، دار العلم للملايين: بيروت: 1964)، ص 760.

(5) فرحات، يوسف شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية)، ط1، دار الجيل، بيروت: 1993)، ص 100.

(6) بروفنسال، تاريخ اسبانيا، جح 2/ 381.

(7) شيخة، المرجع السابق، 1/ 194-195.

(8) شيخة، نفسه، 1/ 343.

الالعاب الممنوعة [1]، وقد برزت آفة جديدة تمثلت بالقسوة التي اصبحت سمة العصر [2]، فقد روي أ، والي غرناطة نيالة اللمتوني (اقصى من منصبه سنة 522ه/ 1128م) كان ظلوماً وقد اشتد في تحصيل المال من الرعية وظلم اهلها [3].

كل تلك المخالفات الشرعية أدت الى انحلال المجتمع واصبح كجسم هرم هذه المرض وفت في عضده، وقد توجت لك الآفات الدخيلة على الدين الاسلامي بتعاطي الحشيشة من قبل العامة والخاصة وبشكل ملفت للنظر، فضلاً عن التغني بها من قبل الشعراء وتفضيلها على الخمر وذلك في عهد سلطان غرناطة ابو سعيد البرميخو.

يبدو أن ظاهرة تعاطي الحشيشة في غرناطة لها عمق تاريخي فليس من المقبول أن تنتشر هذه الآفة وبشكل ملفت للنظر بين ليلة وضحاها في عهد السلطان محمد بن اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن نصر والذي يعرف بأبي سعيد البرميخو حكمه (761-763ه/ 1359-1361م)[4].

من الراجح أن زراعة وتعاطي الحشيشة قد بدأ انتشاره في المشرق ومن ثم بعد ذلك انتقل الى المغرب، ويبدوا أن الغرب الاسلامي في مأمن من تلك الآفة حتى القرن السابع الهجري – الثالث عشر الميلادي.

---

(1) فرحات، يوسف شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر – دراسة حضارية، (ط1، دار الجيل، بيروت: 1993)، ص 117.

(2) شيخة، المرجع السابق، 1/ 125.

(3) السامرائي، عبدالحميد حسين أحمد، المؤسسات الإدارية في المغرب الاسلامي في خلال القرن السادس الهجري، (ط1، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل: 2009)، ص 228/ 334.

(4) زمباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، اخرجه: زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود، اشترك في ترجمة بعض فصوله: سيدة اسماعيل كاشف وآخرون، (مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1951)، ج1/ 93-95.

والدليل على ذلك الملاحظة التي ابداها الرحالة الغرناطي ابن سعيد المغربي (ت 589ه/ 1193م) حينما زار مصر في ذلك الوقت اذ عاب على المصرين اكلهم الحشيشة مبيناً أن امثال هذه العادات القبيحة لا توجد في بلاده (1).

في حين اشار أحد الباحثين الى أن المجتمع الغرناطي كان قد وصل الى مرتبة عالية من التطور في ميادين الحضارة وهو مجتمع توفر فيه قسط كبير من الحرية ولم ينسَ حياة المرح حتى في ايام المحن ولم تغمره الكآبة الا عندما دق الاسبان ابواب غرناطة (2).

العمق التاريخي لنبات القنب "الحشيشة":

كان هناك ذكر لنبات القنب الذي تستخرج منه الحشيشة في البرديات المصرية القديمة ووجد من بين النباتات المنقوشة على آثار القدماء، كما وأنه كان معروف لدى الهنود منذ حوالي 900 سنة قبل الميلاد وعرفه الصينيون منذ القرن السادس قبل الميلاد (3)، وقيل أنه كان على عهد اليونانيين والدليل على ذلك ما نقله الاطباء في كتبهم عن بقراط وجالينوس من مزاج هذا العقار وخواصه ومنافعه ومضاره (4).

اختلفت الآراء حول تحديد الموطن الاصلي لنبات القنب "الحشيش"، فبعد أن ذكر أن موطنه آسيا (5)، قيل أن بلاد فارس هي الموطن الاصلي له في حين يرجح

---

(1) ابن الخطيب، لسان الدين، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق: أحمد مختار العبادي، مراجعة: عبدالعزيز الاهواني، (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة: د. ت)، ص 21.

(2) فرحات، المرجع السابق، ص 117.

(3) الدجوي، علي، موسوعة النباتات الطبية والعطرية، (ط1، مطبعة الاندلس، القاهرة: 1996)، 2/ 202.

(4) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المسمى بالخطط المقريزية، (مكتبة الآداب، القاهرة: 1996)، 3/ 207.

(5) غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، (دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة: 1965)، ص 1401.

بعض العلماء أنه هندي الاصل وطائفة أخرى تقول أن موطنه الاصلي هو بلاد سيبيريا في شمال روسيا [1].

علماً بأن الحشيش يجهز من القنب Cannabis Indica [2] ويسمى حبه في العجم شاهدانج أي ملك الحبوب ويسمى في مصر شرائق وباللغة التركية يسمى هند قنابي [3]، وهو نوعان ذكر لا يحمل حباً او انثى تحمل الحب [4]، (انظر ملحق 1 صورة لنبات القنب)، ومنه يستخرج المخدر المضر المعروف بالحشيش والحشيشة [5]، وذلك عن طريق كشط الافرازات الصمغية التي تفرزها الازهار المؤنثة او بعصر الاطراف الغضة والأوراق [6]، لاستخلاص المادة الراتنجية التي هي الحشيش نفسه [7]، ويستخدم هذا المستحضر أما بالمضغ وأما بالتدخين او يتعاطاها المريض على شكل سائل وتأثيرها ناتج عن وجود مواد راتنجية معينة [8]، وأن كثرة تناوله يصل بالإنسان الى حد الرعونة حتى قيل أنه قد استعمله قوم فاختلت عقولهم وأدى بهم الحال الى الجنون [9].

---

(1) الدجوي، المرجع السابق، 2/ 202.

(2) دائرة المعارف الاسلامية، نقلها الى العربية، محمد ثابت الفندي وآخرون، تراجعها: وزارة المعارف العمومية، (القاهرة: د. ت)، 7/ 434.

(3) مفتاح، رمزي، احياء التذكرة في النباتات الطبية والمفردات العطارية، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، القاهرة: 1953)، ص 524.

(4) النابلسي، عبدالغني، علم الملاحة في علم الفلاحة، (ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت: 1979)، ص 119.

(5) الشهابي، مصطفى، معجم الالفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية، (ط2، مطبعة مصر، القاهرة: 1957)، ص 120.

(6) غربال، المرجع السابق، ص 1401.

(7) مفتاح، المرجع السابق، ص 524.

(8) غربال، المرجع السابق، ص 721.

(9) ابو النصر، عادل، تاريخ النبات، (ط1، المطبعة الوطنية، بيروت: 1962)، ص 318.

ذكر أحد الباحثين أن تناول الحشيشة لم يظهر في مؤلفات الفقهاء الا في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي (1)، في حين أنه كان بالهند شيخ يسمى "بيــررطن" هو أول من اظهر لأهل الهند اكلها "الحشيشة" ولم يكونوا يعرفوها قبل ذلــك فشــاع امرها في بلاد الهند حتى ذاع خبرها ببلاد اليمن ثم الى أهل فارس ثم ورد خبرها الى أهل العراق والروم والشام ومصر في سنة 628ه/ 1230م (2).

وبناءاً على ذلك نستدل بأن زراعة الحشيش وتعاطيه قد بدأ في المشرق ومــن ثم بعد ذلك انتقل الى المغرب لأنه قد زرع في اوربا ولكن قلــت فيــه نســبة المــادة الراتنجية التي هي الحشيش نفسه (3)، ومن الراجح أنه قد جرب محاولات لزراعتــه في المغرب بدليل أن أحد الباحثين قد ذكر أن القنب يزرع حالياً في مساحات متفرقــة في المغرب (4)، ولابد أن تكون لهذه الزراعة عمق تاريخي.

المحتسب ومتعاطي الحشيشة:

وكانت رسائل الحسبة تحرص كل الحرص على شن الحرب على تلــك الآفــة، وتنص على أن المحتسب يجب عليه أن يمنــع أهــل الأذايــة جملــة، كالحشاشــين المنتحلين لذوات السموم لاختلاف انواعها (5).

كيفية مجيء ابو عبدالله محمد بن اسماعيل "البرميخو" الى السلطة في غرناطة:

كان للسلطان ابي الحجاج يوسف النيار بن اســماعيل (733–755ه/ 1232–1354م) ثلاثة ذكور "محمد ولي العهد واسماعيل وقيس" (انظر ملحق رقم 2 لتوضيح

---

(1) كحالة، عمر رضا، دراسات اجتماعية في العصور الاسلامية، (المطبعة التعاونية، دمشق: 1973)، ص 206.

(2) المقريزي، المصدر السابق، 3/ 207.

(3) مفتاح، المرجع السابق، ص 524.

(4) الدجوي، المرجع السابق، 2/ 203.

(5) ابن عبدون، رسالة في الحسبة والقضاء، ثلاث رسائل اندلسية في أداب الحسبة والمحتسب، نشر ليفي بروفنسال، (مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة: 1955)، ص 123.

النسب) وقد استولى اسماعيل على عرش غرناطة من اخية محمد بعد الثورة التي اندلعت في غرناطة عام 760ه/ 1359م [1]، بمساعدة ابن عمه وزوج شقيقته الرئيس ابي سعيد عبدالله المعروف "بالمريخو" [2] وطمع هذا الاخير في الملك فقتل اسماعيل الذي استمر حكمه حوالي سنة في عام 761ه/ 1359م والحق به اخاه الصبي قيس وطرحت جثتهما بالعراء مغطاة باسمال [3]، وثلث بمربى قيس الذي يدعى "عباداً" فكان امرهما عبرة [4].

ويبدو أن عبدالله محمد بن اسماعيل "بيرميخو" صهر ام اسماعيل وزوج ابنتها كان يأمل من هذا الزواج أن يصير الملك الى اسماعيل شقيق زوجته فيصبح له هو على عهده شأن الى أن يأتيه عرش غرناطة يسعى ولكنه صدم ورأى أن حلمه اصبح عسيراً يوم رفع (رضوان الحاجب) [5] محمداً الغني بالله على العرش وحجز اسماعيل

---

(1) ابن الخطيب، الاشارة الى أدب الوزارة، تحقيق: محمد كمال شبانة، (مطبعة الساحل، الرباط: د. ت)، ص 20.

(2) قيل أن ابو عبدالله محمد السادس "الغالب بالله" حكمه (761-763ه/ 1359-1361م) تسمية المصادر الاسبانية المعاصرة بأبي سعيد البرميخو "Bermejo" انظر: ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص 12-13، وهذه الكلمة الأخيرة معناها باللغة الاسبانية اللون البرتقالي الضارب الى الحمرة وذلك نسبة الى لون لحيته وشعره، انظر: الطوخي، أحمد محمد، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، (الناشر مؤسسة شباب الجامعة، مطابع رويال، الاسكندرية: 1997)، ص 158، وقيل لأنه كان اشقر مائل الى الحمرة، انظر: الحجي، عبدالرحمن علي، التاريخ الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص 613.

(3) اسمال، السمل: الخلق من الثياب، انظر: الرازي، محمد بن ابي بكر عبدالقادر، مختار الصحاح، (دار الكتاب العربي، بيروت: 1981)، ص 314.

(4) ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، دراسة وتحقيق: محمد الشريف قاهر، (ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1973)، ص 265.

(5) ابو النعيم رضوان بن عبدالله ولد في قلصادة (جنوب قشتالة) وكانت عائلة والده من قشتالة وعائلة امه من برشلونة وعندما كان شاباً قتل رجلاً وهرب الى قلصارة حيث اسر وبيع الى السلطان اسماعيل الأول وفي عصر هذا السلطان وفي عصر خلفائه محمد الرابع ويوسف الأول ومحمد الخامس وصل رضوان الى مرتبة قيادة الجيوش وكذلك الحجابة والوزير الأول الذي كان

اسماعيل في القصر بجوار الحمراء وحال بين أم اسماعيل وبين رجائها أن ترى ولدها وقد قرت به العين سعيداً على عرش ابيه [1].

وكان اسماعيل الثاني 760-761ه/ 1358-1359م والذي دام كمه أقل من سنة فتى وسيماً بدنياً على حداثة سنة خنثاً لمجاورة النساء منحطاً في درك اللذة [2]، ولم يحسن سياسة الرعية لانغماسه في اللذة وتقريب أهل الترف [3]، قاصر الهمة على حياءه ودماثه قام بأمره ابن عم ابيه واقعده الاريكه وضم له الرجال [4]، ولذلك استضعفه صهره محمد بن اسماعيل "البرميخو" فقتله واستولى على الملك [5]، واندلعت عليه الفتن من كل حدب وصوب [6].

الوزير ابن الخطيب ووصفه لأبي سعيد البرميخو:

لقد اسهب واطنب الوزير ابن الخطيب (ت 766ه/ 1364م) في وصف البرميخو مبيناً كل الصفات القبيحة التي من الصعب أن تجتمع في رجل واحد ولكن "البرميخو" حسب قول الوزير ابن الخطيب كان شيطاناً ذميم الخلق حرفوشاً [7] على

يجمع في يده بكل خيوط السلطة في الدولة توفي سنة 760ه/ 1358م، انظر: ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، حقق نصه: محمد عبدالله عنان، (ط2، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 1973)، 1/ 507.

(1) بو طالب، عبدالهادي، وزير غرناطة لسان الدين محمد ابن الخطيب السلماني، (ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1950)، ص 107.

(2) ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، (ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت: 1978)، ص 126.

(3) فرحات، المرجع السابق، ص 38.

(4) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص 127.

(5) فرحات، المرجع السابق، ص 38.

(6) بو طالب، المرجع السابق، ص 141.

(7) حرفوش: مستعملة في مصر تطلق على الرعاع وزعر العامة، للمزيد انظر: النجار، محمد رجب، الشطار والعيارين في التراث العربي، (ط2، ذات السلاسل، القاهرة: 1989)، ص 180-181.

عرف المشارقة متراميًا للخسائس مألفاً للدعوة [1] والاجلاف [2] والسوار [3] وأولى الريب خبيثاً كثير النكر منغمساً في العهن [4] كلفاً [5] بالاحداث متقلباً عليهم في الطرق خليع الرسن [6] ساقط الحشمة كثير التبذل قواد عصبة كلاب [7] معالجاً لامراضها مباشر للصيد بها راجلاً في ثياب منتاب الشعر من الجلود والسوابل والاسمال عقد له السلطان على بنته لوقوع القحط في رجال بيتهم [8]، وكان سيء السيرة مشهوراً بالحماقة وعدم الرؤية في الامور منحطاً في لذاته وشهواته [9].

سياسة البرميخو في رعيته:

بعد كل تلك الصفات المشينة التي ذكرها الوزير ابن الخطيب واصفاً فيها ابو سعيد البرميخو لنا أن نتصور كيفية سياسته التي اعتمدها في حكم رعيته ومعتمدين في ذلك على الشاهد الوحيد الذي وصلتنا اخباره وباعتباره كان قريباً من الاحداث ومشاركاً فيها بحكم تقلده المناصب فيها، متمنين أن تصلنا شهادات أخرى من كتاب أخرين عاصروا الحدث ولكن بقيت كتاباتهم مطمورة لم تكتشف لحد الآن، لأن الشاهد الواحد ليس كعديد الشواهد.

لقد اتهم الوزير ابن الخطيب السلطان ابو سعيد البرميخو بالضغط على رعاياه عن طريق زيادة الضرائب وانزال جنوده في دورهم كما يتهمه في سلوكه الشخصي

---

(1) الدعر، بفتحتين والدعارة بالفتح: الخُبْثٌ والفسق، انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص 205.

(2) جلف، قولهم اعرابي جلف أي جاف، انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص 107.

(3) اسوار: الذي يثب ويعربد على الشراب، والذي تدور الخمر في رأسه سريعاً، انظر: مسعود، جبران، الرائد معجم لغوي عصري، (ط1، دار العلم للملايين، بيروت: 1964)، ص 848.

(4) العهن: الصوف، انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص 460.

(5) كلف: أي أولع به، انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص 576.

(6) الرسن: الحبل وجمعه ارسان، ورسنَ الفَرَسَ شدَّه بالرسن، انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ص 243.

(7) قواد عصبة كلاب: من الراجح أنه كان لديه مجموعة من الكلاب يعتني بها.

(8) ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 523.

(9) ابن الخطيب، ديوان الصيب، ص 42.

بالخروج عن حرمة السلطنة وهيبتها [1] كسيرة عاري الرأس مشمراً عن ساعديه مخاطباً العامة في الطريق بصورة تثير الاشمئزاز [2] ووصل الأمر الى أن الوزير ابن ابن الخطيب طاله الاعتقال بأمر من السلطان "البرميخو" وضيق عليه في محبسه الى ان شفع فيه فأطلقه [3].

من الراجح أن حياة الرخاء والسعة في العيش فضلاً عن مجالس اللهو والترف حيث الشراب والرقص والغناء والنساء والراقصات قد أثرن كثيراً في الحياة التي كن يعيشونها في غرناطة [4]، حيث كان يصاحب الاحتفالات بالأعياد والمناسبات والمناسبات في غرناطة شرب الخمر وتعاطي الحشيش [5] فقد اشير الى أن الاسلام المتشدد والصارم جداً مع النساء قد خفف من صرامته على نحو استثنائي في الأندلس، انبثاقاً من الجو الذي خلقته العادات النصرانية [6].

تعاطي الحشيشة في عهد حكم البرميخو:

اشار أحد الباحثين أن عادة تناول المخدرات عرفتها فئة من الغرناطيين في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي – الثامن الهجري [7] في حين ذكر الوزير ابن الخطيب أن السلطان البرميخو كان يتعاطى الحشيش الذي انتشر في ايامه حتى شمل الخاصة والعامة، وهذه الحقيقة التي اوردها ابن الخطيب عن انتشار الحشيش في

(1) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص 20.
(2) الطوخي، المرجع السابق، ص 169.
(3) ابن خلدون، عبدالرحمن، محمد، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام الوب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت: د. ت)، 7/ 333؛ علي، محمد كرد، كنوز الاجداد، (مطبعة الترقي، دمشق: 1950)، ص 344.
(4) فرحات، المرجع السابق، ص 117.
(5) الطوخي، المرجع السابق، ص 133.
(6) الجيوسي، سلمى الخضراء، الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، (ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: 1999)، 2/ 1000.
(7) فرحات، المرجع السابق، ص 117.

غرناطة في القرن الثامن الهجري – الرابع عشر الميلادي [1]، قد ايدتها المساجلات الشعرية التي دارت بين شعراء غرناطة في ذلك العهد حول تفضيل الحشيش على الخمر [2]، ومثال ذلك الشاعر الغرناطي ابن الوحيد (711ه/ 1311م) في قوله:

وخضراء بل لا تفعل الخمرُ فِعلَها ... لها وثباتٌ في الحَشا وثَباتُ
تؤججُ ناراً في الحشار وهي حَبةٌ ... وتبدي لذيذَ العيشِ وهي نَباتُ [3]

وهناك أبيات قيلت في هذا المضمار ايضاً تنسب الى علي بن مكي في ابيات انشدها من لفظه وهي [4]:

ألا فأكفُفْ الأحزانَ عنّى مع الضّرِ ... بعذراءَ زُفَّت في ملاحِفِها
تجلَّتْ لنا لَمَّا تَحلَّت بِسُنْدُسٍ ... فَجلت عن التَّشبيهِ في النَّظمِ والنَّثرِ
بدأتْ تَملأُ الأبصارَ نوراً بِحُسنها ... فأخجل نور الروضِ والزهر بالزهرِ
عروسٌ يسرُ النفسَ مكنونُ سِرَّها ... وتصبحُ في كلِ الحواسِ اذا تسرى
فللذوق منها مطعمٌ الشَّهد رائقاً ... وللَّشمِ منها فائقُ المِسكِ بالنَّشرِ
وفي لونِها للطرفِ أحسنُ نزهةٍ ... يميلُ الى رؤياه من سائرِ الزهرِ
تركبُ من قانٍ وأبيض فانثَنَتْ ... تتيهُ على الأزهارِ عاليةَ القدرِ
فيكسفُ نورُ الشَّمسِ حُمَرَة لونِها ... وتخجلُ من مبيضة طلعةُ البدرِ
عَلَتْ رتبةً في حُسْنِها وكأنها ... زبُرجدِ روضٍ جَادَهُ وابلُ القَطرِ
تَبَدتْ فأيدتْ ما أجنَ من الهوى ... وجاءتْ قولَّتْ جندَ همي والفكرِ

(1) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص 20.
(2) الطوخي، المرجع السابق، ص 103.
(3) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص 21.
(4) المقريزي، خطط، 3/ 207.

جميلـــةُ أوصـــاف جليلـــة رتبـــةٍ تَغالـــتْ فـــي مـــدائحِها شـــعرى
فَقُمْ فاتف جيش الهَمَّ واكفف يد العنـــا بهندية امضى من البـــيضِ والسُـــمرِ
بهنديـــةٍ فـــي أصـــلِ اظهـــار اكلهـــا الى النَّاسِ لا هندية اللَّـــونِ كالســـمرِ
تزيـــل لهَيـــب الَهَّـــم عَنـــا بأكلهـــا وتهدى لنا الافراحَ في السَّرِ والجَهْـــرِ

وهناك أبيات اخرى تنسبها المراجع المغربية الى الشـــاعر الغرنـــاطي محمـــد الحجر الرعيني المعروف بأبن خميس (ت 708ه/ 1308م) قال فيها [1]:

دَعِ الخمرَ وأشربْ من مدامةِ حَيـــدر معتقـــةٌ خضـــراء لَـــون الزُّبُرجُـــدِ
هي البكرُ لم تـــنكحْ بمـــاءِ سَـــحَابةٍ ولا عصرتْ بالرجلِ يومـــا ولا باليـــدِ
ولا عبثَ القســـيس يومـــاً بكأسِـــها ولا قربوا مـــن دَنّهـــا نفـــسَ مُلْحـــدِ
ولا قولٌ في تحريمهـــا عنـــد مالـــكٍ ولا حـــدَّ عـــن الشَّـــافعي وأحمـــدِ
ولا أثبتَ النُّعمـــانُ تنجـــيسَ عينَهـــا فخـــذها بحـــدِ مشْـــرفى فـــي مُهَنَّـــدِ
وفيها معـــانٍ لـــيس للخمـــرِ مِثْلُهـــا فـــلا تســـمعُ فيهـــا كـــلام المُفَنَّـــدِ

وكذلك نُسب اظهار الحشيشة الى الشيخ حيدر الأديب أحمـــد بـــن محمـــد بـــن الرسام الحلبي فقال [2]:

ومهفهـــفٍ بـــادى النفـــارِ عهِدتُـــه لا ألتقيـــهِ قـــطُ غَيـــرَ مُعَّـــبسِ
فرأيتُـــه بعـــضَ الليـــالي ضـــاحكاً سَهُلَ العريكةِ ريضـــاً فـــي المجلـــسِ
فقضـــيتُ منـــهُ مـــآربي وشـــكرتهُ اذْ صارَ من بَعْـــدِ التَّنـــافر مؤنســـى
فأجـــابني لا تشـــكُرَنَّ خلائِقـــي وأشكرْ شَفَيَعك فهو خمـــرُ المفْلـــسِ

---

(1) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص 20.
(2) المقريزي، الخطط، 3/ 206.

فحشيشـــةُ الأفـــراحِ تَشـــفُع عنـــدنا للعاشـــقين بِبَسْـــطِها للأنفُـــسِ

واذا هَمَمْـــتَ بصـــيدِ ظَبـــيّ نـــافرٍ فأجهدْ بأن يرعى حشـيشَ القنـبسِ

واشكرْ عصـــابةَ حيـــدرٍ اذ أظهـــروا لذوي الخلاعـةِ مَـذهبَ المـتخّمسِ

أن التغني بهذه الآفة الفتاكة في ذلك الوقت بل وتفضيلها على الخمـــر لـــدليل على سعة انتشارها بين العامة والخاصة في المجتمع الغرناطي في عهد السلطان أبو سعيد البرميخو والذي كان حسب قول الوزير ابن الخطيـــب حرفوشـــا علـــى عـــرف المشارقة [1].

حديث صاحب شرطة السلطان ابو سعيد البرميخو:

كان تناول الحشيش بعلم السلطان ابو سعيد البرميخو وقد أكد ذلـــك لصـــاحب شرطته باعطائه اماكن تناولها، فقد حدث صاحب شرطته قال: اطريته باجتناب الناس الخمر في ايامه وتحت استداده وطاهرة بلده من قاذوراتهـــا فقـــال لـــي فـــي المـــلأ المشهود، والحشيش كيف حالها؟ قلتُ ما عثرت على شيء منه، فقال هيهات، انـــزل الى بيت فلان وفلان وفلان وعد كثيراً من الساسة والاوغاد والصـــفاعين [2]، رســـم مكامنهم وينسبهم نسبة الأصمعي افخاذ العرب وبطونها ويصف الناصح والغاش منهم بصفته وربما دعا بعض مشيختهم بالعمومة قال وانصرفت الى ما ذكـــر فـــو الله مـــا

(1) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص 20.

(2) الصفاعين، جمع صفعان ومصفعاتي وهو المهرج الذي يصفع كثيراً، انظر: الطوخي، مظاهر الحضارة في الاندلس، هامش ص 104.

أخطأت شيئاً مما رسمه ولا فقدت شيئاً مما ذكره ولغشيانه بيوتهم وانخراطه في جملة منتابيهم يقول فهو والله استاذي في الشرطة [1].

أن هذا النص يؤكد على أن السلطان ابو سعيد البرميخو كان يتردد على تلك الاماكن التي وصفها لصاحب شرطته والتي يتم فيها تناول الحشيش، باعتباره أحد متناولي الحشيش في تلك الاماكن.

ومن الراجح أن تناول الحشيشة في غرناطة كان موجود قبل عهد السلطان ابو سعيد البرميخو ولكن بالخفاء وليس بالعلنية التي كانت عليه في عهد البرميخو الذي كان أحد متناوليها، مما شجع الشعراء على التغني بها وذكر تناولها وتفضيلها على الخمر من دون حرج او خوف.

الخاتمة:

* كان لغرناطة وضعها الخاص بها بحكم قربها من الممالك المسيحية والاحتكاك بها والاطلاع على العادات والتقاليد الخاصة بهم، كل ذلك أثر تأثيراً كبيراً على الغرناطيين، حتى أن نقاد القرن العشرين اشاروا الى أن النساء الاندلسيات لم يكن سجينات القواعد والعادات الاسلامية التي كنا نستطيع رؤية باقي المسلمين سجناء لها.
* السلطان الفاقد للحشمة والوقار والمبتذل، مما لا شك فيه عامل تشجيع على انتشار تناول الحشيشة من قبل العامة والخاصة، وهذا ما انطبق على السلطان ابو سعيد البرميخو.
* سكان غرناطة كانوا يعيشون في رخاء وسعة وكثرت عندهم مجالس اللهو والترف، ومن الراجح أن يتخلل تلك المجالس تعاطي الحشيشة استكمالاً للوصول الى القمة في اللهو والترف.

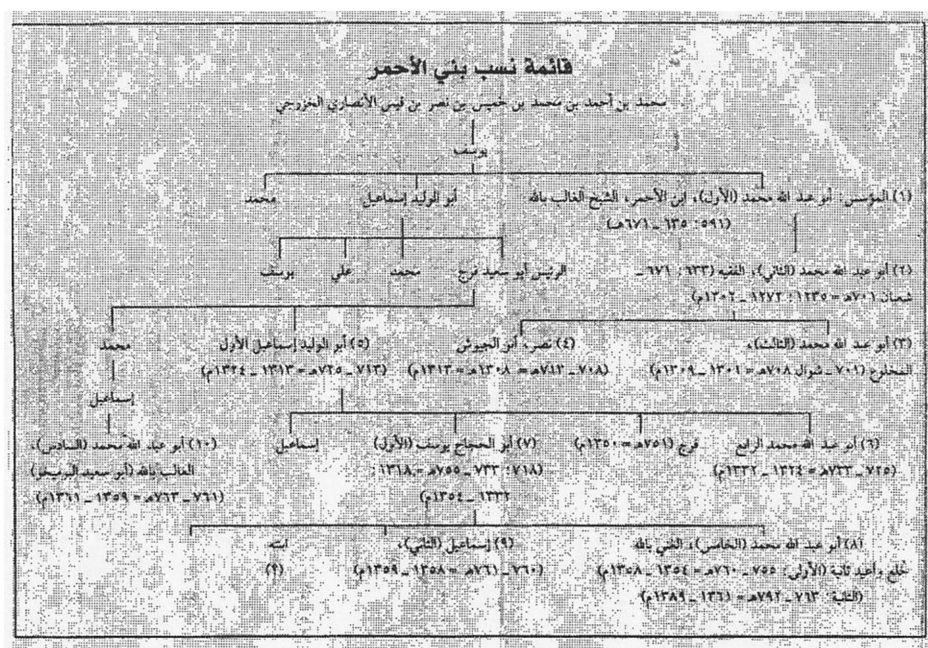
(1) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص 183.

* المجتمع الغرناطي وصل الى مرتبة عالية من التطور في ميادين الحضارة فضلاً عن توفر فيه قسط كبير من الحرية ولم ينسَ حياة المرح والاستمتاع بمباهج الحياة وتعاطي الحشيشة إحداها.

ملحق رقم (1) نبات القنب



ملحق رقم (2) لتوضيح النسب



نقلاً عن: الحجي، عبدالرحمن علي، التاريخ الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (92- 897ه/ 711-1492)، (ط2، دار القلم، دمشق: 2008)، ص 616.

References

1. Abu Al-Nasr, Adel. **The History of Plants,** (1 edition, The National Press, Beirut: 1962), p. 318.
2. Al-Degwi, Ali. **Encyclopedia of Medicinal and Aromatic Plants**, (1 edition, Al-Andalus Press, Cairo: 1996), 2/202.
3. Ali, Muhammad Kurd. **Treasures of the Grandfathers**, (Al-Tarqi Press, Damascus: 1950), p. 344.
4. Al-Jayousi, Salma Al-Khadra. **The Arab Islamic Civilization in Andalusia**, (2nd Edition, Center for Arab Unity Studies, Beirut: 1999), 2/ 1000.
5. Al-Maqrizi, Taqi al-Din Ahmad ibn Ali ibn Abd al-Qadir. **Preaching and Consideration by mentioning the plans and monuments called the Maqrizi plans**, (Library of Arts, Cairo: 1996), 3/ 207.
6. Al-Nabulsi, Abdul Ghani. **The Science of Navigation in the Science of Agriculture**, (1 edition, New Horizons House, Beirut: 1979), p. 119.
7. Al-Samarrai, Abdel-Hamid Hussein Ahmed, **Administrative Institutions in the Islamic Maghreb during the Sixth Century AH**, (1 edition, Dar Ibn Al-Atheer for Printing and Publishing, University of Mosul: 2009), p. 228/334.
8. Al-Shihabi, Mustafa. **A Dictionary of Agricultural Terms in French and Arabic**, (2nd Edition, Misr Press, Cairo: 1957), p. 120.
9. Farhat, Youssef Shukry, **Granada in the Shadow of Bani Al-Ahmar (Civilizational Study)**, 1st Edition, Dar Al-Jeel, Beirut: 1993), p. 100.
10. Ghorbal, Muhammad Shafiq. **The Easy Arabic Encyclopedia**, (Dar Al-Shaab and the Franklin Institute for Printing and Publishing, Cairo: 1965), p. 1401
11. Ibn Abdoun. **A Treatise on Hisba and the Judiciary, Three Andalusian Letters on the Etiquette of Hisba and Al-Muhtasib**, published by Levy Provençal, (Printing of the French Scientific Institute for Oriental Antiquities, Cairo: 1955), p. 123

12. Ibn al-Khatib. **Lisan al-Din, Nafada al-Jurab in the Cause of Alienation**, investigation: Ahmed Mukhtar al-Abadi, review: Abdulaziz al-Ahwani, (Dar al-Kitab al-Arabi for Printing and Publishing, Cairo: Dr. T), p. 21.
13. Ibn Khaldun, Abd al-Rahman, Muhammad. **The History of Ibn Khaldun called Kitab al-Ibr, Diwan al-Mubtada and al-Khabar in the days of the Arabs, Persians, and Berbers, and their contemporaries with the greatest authority**, (Jamal Foundation for Printing and Publishing, Beirut: D.T), 7/ 333.
14. Masoud, Gibran. **Al-Raed, a modern linguistic dictionary**, (1st edition, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut: 1964), p. 848.
15. Massoud, Gibran. **Al-Raed, a modern linguistic dictionary whose vocabulary is arranged according to its first letters**, (1 edition, Dar Al-Ilm Li'l-Malayyin: Beirut: 1964), p. 760.
16. Moftah, Ramzi. **Reviving the Ticket in Medicinal Plants and Aromatic Vocabulary**, (Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Printing Company and his sons, Cairo: 1953), p. 524.
17. Omar Rida. **Social Studies in the Islamic Ages**, (Al-Mutabaa Al-Tawuniya, Damascus: 1973), p. 206.
18. Provencal, Levy. **History of Spain from the Conquest to the Fall of Cordoba**, (711 AH / 1031 AD), translated by: Ali Abdel Raouf Al-Bambi and others, reviewed by: Salah Fadl, (1 edition, General Authority for Amiri Press Affairs, Cairo: 2002), vol. 2/ 380 .
19. Sheikha, Juma. **Tribulations and Wars and their Impact on Andalusian Poetry (What is the fall of the caliphate 5 AH / 11 CE to the fall of Granada 9 AH / 15 CE),** (1 edition, the Maghreb Press for Printing, Publishing and Publicity, Tunisia: 1994), 1/ 175.
20. Tawfiq, Omar Ibrahim. **The Image of Andalusian Society in the Fifth Century of Hijrah, "Political and Cultural,"** (1 edition, Dar Ghaida, Amman: 2010), p. 143.
21. **The Department of Islamic Encyclopedias**, translating it into Arabic, Muhammad Thabit Al-Fandi and others, reviewed by: Ministry of Public Education, (Cairo: Dr. T), 7/ 434.
22. Zimbour. **A Dictionary of Genealogy and Ruling Families in Islamic History**, directed by: Zaki Muhammad Hassan Bey and

Hassan Ahmed Mahmoud, co-translating some of its chapters: Sayyida Ismail Kashif and others, (Fouad I University Press, Cairo, 1951), Part 1/ 93-95.

The Social Epidemics in Granada Society, Hashish As a Study. (As A Sample) (761-763 A.H) (1359-1361 A.D)

Asst.Prof.Dr. Raed Muhammad Hamid Hasan Al-Tai*

Abstract

The research aims at shedding light on the epidemic which was separated in Grenadian Society, which suppose to be secret and rolled by concealment, in contrast this strange epidemic of habits, and Islamic moral was openly, practice by public and private. It is the epidemic of taking hashish among the Grenadian Society.

The thing which is draw attention at that epoch was the chanting by the poets on that destroyed epidemic and prefer it on alcohol, trying to forget that putting into circulation to this epidemic is a dangerous threating the entity of the Islamic Nation and bring to any society weakness.

Key words: social ills, Islamic customs, drugs, Granada society

∗ **Asst. Prof./ Department of History/ College of Arts/ University of Mosul.**